المبحث الأول: العصر الإمبراطوري (المملكة الحديثة 1580-1090 ق.م)

يُعد هذا العصر من العصور المهمة في تأريخ مصر القديمة ، حيث دام زهاء خمسة قرون (1570-1090 ق.م) وقد تضمن حكم ثلاث سلالات هي (18, 19, 20) .

فقد خلقت حرب التحرير التي شنها المصريون على الهكسوس روحاً وطنية قوية في مصر، فلم يكتف ملوك السلالة (18) بطرد الاجانب في مصر بل لاحقوا فلولهم إلى سورية وحاربوهم هناك في مقرّهم القديم الذي غزوا منه مصر، فاستطاع أحد ملوك السلالة (18) وهو تحوتمس الثالث (1490-1448ق.م) أن يقضي على قوة الهكسوس قضاءاً نهائياً في بلاد الشام في معركة كبرى وقعت في مجدو عام 1479ق.م فتثبت النفوذ المصري هناك وتكونت الامبراطورية المصرية في سوريا ، ولاشك إن معرفة المصريين باستخدام الخيول والعربات التي تعلموها من الهكسوس ساعد الى حد كبير الى القيام بالفتوحات العسكرية وعلى نطاق واسع مما مهد السبيل لقيام الامبراطورية المصرية والتي وصلت حدودها زمن السلالة (19) الى الشلال الرابع جنوباً وحتى الفرات باتجاه الشمال الشرقي .

السلالة الثامنة عشر :

أعتبر أحمس الأول (1570-1545ق.م) اول فراعنة هذه السلالة واعتبر عهده من ألمع فترات تأريخ مصر القديمة وهو أول من ارسى قواعد المملكة الحديثة ، وفي عهده تحوّل الحكم في مصر الى حكم مركزي مقره مدينة طيبة التي ارتفع شأنها باعتبارها مركز عبادة الاله آمون .

خلّف احمس الأول في الحكم ابنه أمنحوتب الاول (امنوفس الاول 1545-1525ق.م) الذي يبدو انه كان مقدساً في زمنه فقد أطلق اسمه على أحد اشهر السنة الذي لايزال متبعاً لدى أقباط مصر حتى اليوم .

ومن الملوك الذين عرفوا في هذا العصر تحوتمس الاول (1525-1495 ق.م) ومن منجزاته انه:

1- قام بحملات ناجحة على بلاد النوبة .

2- قام بحملة ناجحة في الاتجاه الشمالي الشرقي وصل خلالها الى نهر الفرات الذي دعاه بالماء المقلوب وذلك لجريان مياهه باتجاه معاكس لاتجاه نهر النيل .

3- توغلت جيوشه في مملكة ميتاني واقام مسلة تذكارية هناك .

وكان التقليد الفرعوني يحتم فيمن يرث العرش ان يكون رجل ومن زوجة الفرعون الملكة ، ولما لم يخلف تحوتمس الاول من زوجته الملكة سوى ابنة هي حت- شبسوت التي تعتبر الوريثة الوحيدة للعرش قام الاب بتزويجها من أخيها الملقب الملك تحوتمس الثاني الذي ولده من زوجة أخرى ذات مركز ثانوي وبذلك فقد ضمن الحكم بيد ابنه الوريث غير الشرعي ، ولكن هذا الزوج مات مبكراً فانقسم اهل مصر الى فئتين ، فئة رأت في حت- شبسوت الابنة الشرعية وصاحبة الحق في العرش اما الأخرى فرأت أن تقاليد الفراعنة تحتم جلوس رجل على العرش وبذلك يجب أن يتولى تحوتمس الثالث أبن تحوتمس الثاني من أحدى زوجاته الثانويات ، وهذا ما حدث إذ تزوج من الملكة حت- شبسوت التي انفردت بالحكم وانزوى زوجها عن الحياة السياسية طوال فترة حياتها يساندها في ذلك كهنة آمون الذين ادعوا بان الاله قد اختارها لتحكم مصر بمفردها كما يبدو ذلك واضحاً من القابها الملكية مثل: (الزوجة الألهية) ، (بذرة الإله الممتازة) ، وهناك أسطورة تصفها بأنها ابنة الإله آمون عثر عليها مدونه في معبد (الدير البحري) وهو المعبد الذي شيد في عهدها ، كما ظهرت في احدى المنحوتات ببدلة الملوكية وعلى راسها التاج المزودج لمصر العليا والسفلى ، ومن المؤسف انه لم يعثر على الكثير من آثار هذه الملكة سوى مسلة ارتفاعها 97,5 قدم من حجر الكرانيت إضافة إلى معبد الدير البحري الخاص بها ، ويعتبر عهدها الذي دام 21 سنة عهد رخاء وسلم وطمأنينة أما نهايتها فلم تكن معروفة ولكن في عام (2007 ) تم العثور على جثتها والتعرّف عليها في وادي الملوك قرب الأقصر وذلك من خلال فحص الحامض النووي (DNA ) .

ولي تحوتمس الثالث (1490-1448 ق.م) العرش وتلقب بلقب (الفرعون) وهي الصيغة التعبيرية للمصطلح المصري (القصر الكبير) والتي كانت تطلق في الأصل على القصر ولكنها اصبحت منذ الآن تستعمل كلقب رسمي للملك . وقد عبّر هذا الملك عن حقده على زوجته حت- شبسوت بأنه قام بتحطيم تماثيلها ومسح أسمها من الكتابات حيثما وجدت في مصر كلها ، وقد اظهر هذا الملك مقدرة عالية في إدارة امور الدولة وتمكن من تحقيق انجازات عسكرية عندما قام بحملة الى بلاد الشام بسبب تمرد الممالك السورية على السلطة المصرية وتكوينها حلفاً ضد الحكومة المصرية بقيادة ملك قادش التي كانت اقوى الممالك في البلاد السورية آنذاك ، عندها تقدم سراً على رأس جيشه عبر مضايق جبل الكرمل واشتبك معهم بمعركة ضارية عُرفت في التاريخ بـ(معركة مجدو) اذ كانوا قد تمركزوا في حصن مجدو في فلسطين وكانت نتيجة المعركة استيلاء الملك المصري على المدينة وسيطرته على الوضع .

ونتيجة لأعماله العسكرية استطاع أن يعيد سيطرة مصر على منطقة واسعة تمتد حتى نهر الفرات وعقد معاهدة مع مملكة ميتاني اعترف بها بموجبها بسلطانها على شمالي سوريا وإمارتي حلب وكركميش مقابل تأمينها لمصر منطقة نفوذ على نهر الفرات وساحل بلاد الكنعانيين حتى مصب نهر العاصي وإبقاء الإمارات السورية الأخرى على حالتها مقابل ان تدفع الجزية للمصريين . أما أهم أعمال هذا الملك العمرانية فهي توسيع معبد الاله آمون في الكرنك الذي خلد على جدران ممراته ذكرى انتصاراته الحربية كما انه اقام مسلات عديدة في هذا المعبد . ومن الشخصيات البارزة في عهد تحوتمس الثالث الوزير رخميرع الذي كان يتمتع بسلطات أدارية واسعة ومعظم انجازات هذا الملك لاسيما العمرانية منها قد تمت في زمن هذا الوزير وتحت إشرافه .

توفى تحوتمس الثالث في حدود عام 1448ق.م فخلفه ابنه أمنحوتب الثاني (امنوفس الثاني 1447-1420ق.م) الذي تفتقر الدراسات الى المعلومات الكافية عنه ، ولكن يبدو انه كان مولعاً بالرياضة والصيد وبقدرته على الرماية واصابة الهدف ، وعندما عثر على جثته المحنطة في وادي الملوك عثر بجانبها على قوسه الذي قال عنه (إن قوسي لا يستطيع غيري من الرجال على حمله) ، أما عن أعماله العسكرية فيبدو انه قام بعدو حملات على سورية وفلسطين لقمع حركات العصيان التي ساندتها الدولة الميتانية ، وقد وجدت له صورة تمثل ظهر سفينة عائمة في احدى الموانئ السورية تتجه الى مصر تحمل اسرى من الامراء السوريين .

بعد وفاته خلفه في الحكم ابنه تحوتمس الرابع الذي لم يدم حكمه أكثر من تسع سنوات وتوفى شاباً وأهم أثر تركه هو المسلة القائمة اليوم بين مخالب (ابوالهول) وعليها كتابة تذكر وفاة هذا الفرعون ، وفي عهده عمت مصر فترة من الاستقرار السياسي .

خلف هذا الملك ابنه امنحوتب الثالث (امنوفس الثالث 1411-1370 ق.م) والذي كانت امه ميتانية واعتبر من ملوك العظماء في تأريخ مصر كما دلت على ذلك الكتابة المنقوشة على جدران معبد الأقصر، فقد شيد معابد للاله آمون في منطقة الكرنك ، كما ازدهر الفن لاسيما فن النحت والتصوير على ألواح الرخام والحجر واتسم بالرقة وسمو الذوق والحرية في التعبير ، ونلاحظ في زمن هذا الفرعون ظاهرة جديدة تتعلق باعتقاد الشعب بإلوهية الفرعون والصلاة في المعابد وهو نوع من الوعي الديني نلاحظه عند الملك بحيث انه اخذ يشك كونه إلها .

وشهدت البلاد والأقاليم التابعة لها في عهد امنحوتب الثالث استقراراً سياسياً ملحوظاً يتضح من خلال الرسائل السياسية المتبادلة بين ملوك وامراء الشرق الادنى القديم والقائمة على المودة والرخاء وتبادل الهدايا ، وهي رسائل عثر عليها في تل العمارنة وقد كتبت بالخط المسماري وباللغة الأكدية (اللغة الدبلوماسية آنذاك) ، وكانت متبادلة بين الملك امنحوتب الثالث وابنه امنحوتب الرابع من جهة وبين امراء المدن السورية وملوك الكاشيين والميتانيين والحيثيين من جهة أخرى ، وتعكس لنا هذه الرسائل صورة عن الحياة السياسية في الشرق الادنى القديم .

اخناتون (1370-1353 ق.م)

تولى العرش أمنحوتب الرابع (امنوفس الرابع) ثاني ابناء الملك امنحوتب الثالث ، وكان هذا الفرعون ذا أحساس ديني خالص لهذا لم يتحسس بواقع البلاد ومشاكلها ولم يدر امورها بشكل جيد على الرغم من انه كان قد تمرس على الحكم في عهد أبيه .

وتتجلى أهمية هذا الفرعون في ميوله الدينية الجديدة عندما دعا الى عبادة اله واحد وهو إله الشمس آتون ونبد عبادة الآلهة الأخرى ، وغيّر اسمه من امنوفس الى اخناتون ومعناه (المحب للاله آتون) ، وادعى انه ابن الاله آتون بل انه ادعى انه نبي ينزل عليه الوحي دون وسيط كما يتضح ذلك من نص له يقول فيه : (أنت قلبي وليس من يفهمك سواي، أنا ابنك ) .

أن اسم الإله آتون يعني (قرص الشمس) في اللغة المصرية القديمة وهو يعبّر عن القوّة الكامنة في الشمس ، وعبادة الشمس كانت امراً شائعاً في وادي النيل قبل ظهور اخناتون على أنها إله (سيد كل الكون) ولكن عندما أصبحت طيبة عاصمة مصر خلال فترة حكم المملكة الوسطى وما بعدها اصبح الاله آمون (الذي كان يمثل بشكل كبش) هو الإله القومي السائد ، يدل على ذلك المعابد الضخمة التي شيدت له واهمية كهنته .

وبقدوم اخناتون ونبذه لعبادة آمون والالهة الأخرى نشأ العداء بينه وبين كهنة آمون وهو عداء ناتج عن تغيير مكانتهم وفقدانهم لسلطانهم وامتيازاتهم سواء كان على الصعيد الديني أو السياسي او الاقتصادي وبهذا بدأوا يحرضون العامة على الملك وكهنته ويتهمونه بالكفر والزندقة خاصة انه من الصعب على الناس تقبل فكر ديني جديد وتغيير ما اعتادوا على عبادته ولعل هذا يفسر لنا سر انقسام الناس مابين مؤيد للفكر الديني الجديد ومعاد له كما يفسر لنا سر انتقال اخناتون من عاصمته طيبة إلى المدينة الجديدة التي اختارها عاصمة له وهي آخت اتون اي (أفق الشمس) والتي تبعد 300 كم شمال طيبة وتعرف اليوم بتل العمارنة .

إن خير ما يمثل الاوضاع السياسية للإمبراطورية المصرية في زمن أخناتون هي رسائل تل العمارنة التي يتضح من خلالها انه كان للدعوة الجديدة أثر في اضاعة هيبة وسلطان الحكومة المركزية على المستوى الخارجي لاهمال الدولة والفرعون للجانب العسكري الذي انشغل بزهده وتعبده مما ادى الى تدهور أحوال الامبراطورية لانه لم يصاحب الدعوة الدينية منجزات مهمة في المجال العسكري والاداري لهذا ساءت الاوضاع وعمّ السخط بل واخذت بعض الاقاليم تهدد بالاستقلال عن السلطة المركزية كما حدث في سوريا وفلسطين كذلك فقدت السلطة المركزية سيطرتها على بلاد النوبة ومناطق الذهب في السودان كما ان توقف النشاط العسكري أدى الى انتعاش اطماع بعض القوى مثل الحيثيين ، ويتضح ذلك من سيطرة الملك الحثي على بعض أقسام سورية بعد أن كانت تدين بالولاء لمصر .

ونتيجة لهذه الأوضاع مجتمعة فقد فشلت الحركة الدينية التي جاء بها اخناتون ولم تعمر طويلاً بعد وفاته ، ولما لم تلد له زوجته الملكة نفرتيتي سوى ثلاث بنات فقد اعتلى العرش بعده زوج ابنته الكبرى الذي لم يحكم سوى فترة قصيرة تلاه توت – عنخ - آتون الصهر الثاني لاخناتون الذي أراد الرجوع الى عبادة الإله آمون حيث غيّر اسمه إلى توت – عنخ – آمون ومعناه (صورة آمون الحية) ومن ثم رجع الى مدينة طيبة بعد أن قضى ثلاث سنوات في العمارنة . مات هذا الفرعون وهو في سن العشرين حيث تولى العرش وهو في سن صغيرة وهذا ما اتضح من خلال موميائه التي عثر عليها في عام 1922م في مقبرة وادي الملوك ومنذ ذلك اليوم اصبح من الفراعنة المشهورين نتيجة ما عثر في هذا المقبرة من آثار كثيرة ونفيسة .

تولى العرش بعد توت – عنخ - آمون المدعو حارب-حب وهو قائد عسكري يبدو انه جاء الى الحكم بعد ان تزوج من احدى اميرات البيت المالك ، وبنهاية حكم هذا الملك تنتهي السلالة الثامنة عشر .

السلالتان التاسعة عشر والعشرون :

تبدأ الأسرة التاسعة عشر بالمدعو رعمسيس الاول (رمسيس الاول) وهو أحد القادة العسكريين الكبار الذي كانت فترة حكمه قصيرة إذ كان رجلاً كهلاً عندما تولى العرش مما دفعه الى اشراك ولده سيتي الاول (1303-1290 ق.م) في الحكم والذي تولى العرش بعد سنة فقط ، واتسم عهد الاخير بحدوث أضطرابات في سوريا وفلسطين قامت بها الاقوام الكنعانية هناك فارسل عدة حملات عسكرية ولكن الاوضاع كانت تتأجج دائماً بفعل تحريض الحيثيين لهم .

وعند تولى رعمسيس الثاني (1290-1224 ق.م) استمر بحملاته العسكرية الى سوريا وفلسطين ، ولعل أشهر المعارك التي خاضها هي تلك التي قادها في منطقة (قادش) بالقرب من نهر العاصي والتي كسر فيها شوكة الحيثيين . وانتهت حملاته العسكرية على هذه المناطق بمعاهدة بينه وبين ملك الحيثيين تم بموجبها بقاء الاجزاء الشمالية في سوريا بيد الحيثيين والجنوبية بيد المصريين وتوثقت تلك المعاهدة بزواج ابنة الملك الحثي من رعمسيس الثاني .